سورة الإسراء

٥٦١ ـ قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا .. ﴿١﴾﴾ قال ﴿بعبده﴾ دون نبيه أو حبيبه، لئلا تصل به أمته، كما ضلت أمة المسيح، حيث دعته إلهًا.

أو لأن وصفه بالعبودة، المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات، وقال ﴿ليلاً﴾ منكرًا، ليدل على قصر زمن الإسراء، مع أن بين مكة وبيت المقدس، مسيرة أربعين ليلة، لأن التنكير يدل على البعضية.

والحكمة فى إسرائه ﷺ من بيت المقدس، دون مكة، لأنه محشر الخلائق، فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة، وقوفهم ببركة أثر قدمه. أو لأنه مجمع أرواح الأنبياء، فأراد الله أن يشرفهم بزيارته ﷺ.

أو أسرى به منه، ليشاهد من أحواله وصفاته، ما يخبر به كفار مكة، صبيحة تلك الليلة، فيكون اخباره بذلك مطابقًا لما رأوا، وشاهدًا ودليلاً على صدقه فى الإسراء.

٥٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ .. ﴿١﴾﴾ هو أعم من أن يقال: باركنا عليه أو فيه، لإفادته شمول البركة لما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق، وللمسجد لمفهوم الأولى.

٥٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا .. ﴿٧﴾﴾ الآية.

﴿فلها﴾ اللام للاختصاص، أو بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان سجدا﴾.

٥٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾.

قال ذلك هنا بلفظ ﴿كبيرا﴾ وقاله فى الكهف بلفظ ﴿حسنا﴾ موافقة للفواصل قبلهما وبعدهما.

٥٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ .. ﴿١٢﴾﴾.

إن قلت: لم ثنى الآية هنا، وأفردها فى قوله ﴿وجعلناها وابنها آية﴾ [الأنبياء: ٩١]؟

قلت: لتباين الليل والنهار من كل وجه، ولتكررهما، فناسبهما التثنية، بخلاف «عيسى» مع أمه، فإنه جزء منها، ولا تكرر فيهما، فناسبهما الإفراد.

٥٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴿١٣﴾﴾ أى مضيئة لأن النهار لا يبصر.

٥٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

لا ينافى قوله تعالى: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ لأن فى يوم القيامة مواقف مختلفة، ففى موقف يكل الله حسابهم إلى أنفسهم، وعلمه محيط به، وفى موقف يحاسبهم هو تعالى.

وقيل: هو الذى يحاسبهم لا غير، وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أى يكفيك أنك شاهد على نفسك بذنوبها، فهو توبيخ وتقريع، لا تفويض حساب العبد إلى نفسه.

وقيل: من يريد «مناقشته»«٠» فى الحساب يحاسبه بنفسه، ومن يريد مسامحته يكل حسابه إليه.

٥٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا..﴿١٦﴾﴾ الآية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أى أربنا منهم الفسق، أو أمرناهم بالطاعة، أو كثرناهم ففسقوا، يقال: امرته، وآمرته، بالقصر والمد بمعنى

---

٥٦٥ ـ انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٨.

«٠» كذا فى المخطوطة المصورة الأسبانية.

كثرته. وقيد بالمترفين وإن كان الأمر لا يختص بهم، لأن صلاحهم أو فسادهم، مستلزم لصلاح غيرهم أو فساده.

٥٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ..﴿١٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: قضيته أن من لم يترك الدنيا يكون من أهل النار، وليس كذلك؟

قلت: المراد من لم يرد بإسلامه وعبادته إلا الدنيا، وهذا لا يكون إلا كافراً، أو منافقًا.

٥٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾﴾ أى ممنوعا.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنا نشاهد الواحد، لا يقدر على دانق، وآخر معه الألوف؟

قلت: المراد بالعطاء هنا الرزق، والله سوى فى ضمانه بين المطيع والعاصى من العباد، فلا تفاوت بينهم فى أصل الرزق، وإنما التفاوت بينهم فى مقادير الأملاك، وإنما لم يمنع الكفار الرزق كما منعهم الهداية، لأن فى منعه له هلاكهم، وقيام الحجة لهم، بأن يقولوا: لو أمهلتنا ورزقتنا، لبقينا أحياء فآمنا. ولأنه لو منعهم الرزق لكان قد عاجلهم بالعقوبة، ولكان ذلك من صفات البخلاء، والله منه عن ذلك لأنه حليم كريم.

ولأن اعطاء الرزق لجميع العباد عدل، وعدل الله عام، وهبة الهداية فضل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

٥٧١ ـ قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾﴾. قال ذلك هنا، ثم قال: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى فى جهنم ملومًا مدحورا﴾.

ولا تكرار فيها، لأن الأولى فى الدنيا، والثالثة فى الأخرى. والخطاب فيهما للنبى ﷺ على الراجح والمراد به غيره، كما فى آية ﴿إما يبلغن عندك

---

٥٦٩ ـ راجع الطبرى ١٥/ ٤٢، ٤٣ ولسان العرب لابن منظور ٥/ ٨٨.

الكبر أحدهما أو كلاهما﴾. وأما الثانية فخطاب للنبى ﷺ أيضًا، وهو المراد به، وذلك أن امرأة بعثت صبيًا إليه مرة بعد أخرى، سألته قميصًا، ولم يكن عليه ولا له قميص غيره، فنزعه ودفعه إليه، فدخل وقت الصلاة فلم يخرج فى الحين، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصفة، فلاموه على ذلك، فأنزل الله ﴿فتقعد ملومًا﴾ أى يلومك الناس ﴿محسوراً﴾ أى مكشوفًا، وقيل: مقطوعًا عن الخروج إلى الجماعة.

٥٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا .. ﴿٢٣﴾﴾ الآية.

فائدة ذكر ﴿عندك﴾ أنهما يكبران فى بيته وكنفه، ويكونا كلا عليه، لا كافل لهما غيره، وربما ناله منهما من المشاق، ما كان ينالهما منه حال الصغر.

٥٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ هو أعم من أن يقال: «ولا تزنوا» ليفيد النهى عن مقدمات الزنا كاللمس والقبلة بالمنطوق، وعن الزنا بمفهوم الأولى.

٥٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴿٤١﴾﴾. قال ذلك هنا بحذف «للناس» اكتفاء بذكره قبل، بلفظ ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾. وقاله بعد بذكره[1]، ليتميز عن الجن، لجريان ذكرهما معا قبل.

وقدم على ﴿فى هذا القرآن﴾ هنا فى الآية الثانية، اهتمامًا بالتمييز المذكور، وبالناس لأنهم الأصل فى التكليف، ولهذا اقتصر عليهم فى غالب الآيات كقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ وقوله: ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ وقوله: ﴿الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾ [البقرة: ١٨٥]. وعكس فى «الكهف: ٤٩» لمناسبة قوله قبل ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾؟

---

٥٧٤ ـ انظر فتاوى النووى، مسألة ٢٣٦.

«١» فى قوله تعالى: ﴿لقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ آية «٨٩» فقد سبقها قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية.

٥٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ..﴿٤٤﴾﴾ الآية. ضمير «فيهن» عائد إلى السموات والأرض، والتسبيح ـ وهو التنزيه ـ شامل للتسبيح بلسان المقال، كما فى المؤمنين، وبلسان الحال كما فى سائر الموجودات، إذ كل موجود يدل على قدرته تعالى، وفى ذلك جمع بين الحقيقة والمجاز، وهو جائز عند الشافعى رضى الله عنه.

فإن قلت: يمنع من شموله للثانى قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم لأنه مفقوه لنا؟

قلت: الخطاب فيه للكفار، وهم لم يفقهوا تسبيح الموجودات، لأنهم أثبتوا لله شركًا، وزوجًا وولدا، بل هم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد.

٥٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ أعادها بعينها آخر السورة، وليس تكرارًا، لأن الأولى من كلامهم فى الدنيا، حين أنكروا البعث، والثانية من كلام الله تعالى، حين جازاهم على كفرهم وإنكارهم البعث فقال: ﴿.. مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] الآية.

وقال هنا: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ وفى الكهف: ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ بزيادة ﴿جهنم﴾ اكتفى هنا بالإشارة ولتقدم ذكر جهنم وهى ـ وأن تقدمت فى الكهف ـ لم يكتف بالإشارة بل جمع بينها وبين العبارة لاقتران الوعيد بالوعد بالجنات فى قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ ليكون الوعد والوعيد ظاهرين للمستمعين.

٥٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: لم خص «داود» بالذكر؟

---

٥٧٦ ـ راجع التفسير الكبير ٢٠/٢٢٦.

قلت: لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء، وهو الرسالة، والكتابة، والخطابة، والخلافة والملك والقضاء، فى زمن واحد، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ٢٠] وقال ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ .. ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

فإن قلت: لم نكر الزبور هنا، وعرفه فى قوله: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾؟

قلت: يجوز أن يكون الزبور من الأعلام التى يستعمل بـ «أل» وبدونها كالعباس، والفضل.

أو نكرة هنا بمعنى آتيناه بعض الزبور وهى الكتب، أو أراد به ما فيه ذكر النبى ﷺ من الزبور، فسمى بعض الزبور زبورا، كما سمى بعض القرآن قرآنا فى قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ .. ﴿١٠٦﴾﴾.

٥٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ .. ﴿٥٦﴾﴾ قاله هنا بالضمير لقرب مرجعه وهو الرب فى قوله: ﴿وربك أعلم﴾. وقال فى سبأ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ بالاسم الظاهر، لبعد مرجع الضمير لو أتى به، والمراد فيهما: قل ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله أى غيره لينفعوكم بزعمكم.

فإن قلت: كيف قال ﴿من دونه﴾ مع أن المشركين ما زعموا غير الله إلهًا دون الله، بل مع الله على وجه الشركة؟.

قلت: فى الكلام تقديم وتأخير، تقديره: قل ادعوا الذين من دون الله زعمتم أنهم شركاء.

٥٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ..﴿٥٩﴾﴾، أى وما منعنا أن نرسل رسولاً بالآيات التى اقترحها أهل مكة على النبى ﷺ، كجعل الصفا ذهبًا، وإزالة جبال مكة[1] ليزرعوا، إلا تكذيب الأولين بها أى بآيات اقترحوها على رسلهم لما أرسلناهم فأهلكناهم،

---

٥٧٨ ـ راجع تفسير القرطبى ١٥/٢٨٦.

«١» فى المصورة: وإزالة مكة وقد سقط منها لفظ «جبال» وما أثبتناه فى مخطوطة الجامعة نقلاً عن المطبوعة.

ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم ليتم أمر النبى ﷺ، ولأنا لا نعجل بالعقوبة.

فإن قلت: كيف قال: ﴿وما منعنا﴾ الخ مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانع؟

قلت: المنع هنا مجاز عن الترك، كأنه قال: وما كان سبب ترك الإرسال بالآيات، إلا تكذيب الأولين.

٥٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً .. ﴿٥٩﴾﴾ أى دالة كما يقال: الدليل مرشد وهاد. فإن قلت: ما وجه ارتباط هذا بما قبله؟

قلت: لما أخبر[1] بأن الأولين كذبوا بالآيات المقترحة، عين منها «ناقة صالح» لأن آثار ديارهم الهالكة باقية فى بلاد العرب، قريبة من حدودهم، يبصرها صادرهم وواردهم.

٥٨١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَظَلَمُوا بِهَا .. ﴿٥٩﴾﴾ أى الناقة.

الباء ليست للتعدية، لأن الظلم يتعدى بنفسه، فالمعنى: فظلموا أنفسهم بقتلها أى بسببه.

٥٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

إن قلت: هذا يدل على الإرسال بالآيات، وقوله قبل ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ يدل على عدمه؟

قلت: المراد بالآيات هنا: العبر، والدلالات، وفيما قبل: الآيات المقترحة.

٥٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ .. ﴿٦٠﴾﴾.

إن قلت: ليس فى القرآن لعن شجرة؟

قلت: فيه إضمار تقديره: والشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن.

أو معناه: الملعون أكلوها وهم الكفرة، أو الملعونة بمعنى المذمومة، وهى مذمومة فى القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾

[1] «١» كذا فى الأصل «المصورة الأسبانية».

[الدخان: ٤٣، ٤٤] وبقوله تعالى: ﴿طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ أو الملعونة بمعنى المبعدة، لأن اللعن لغة: الطرد والابعاد. وهذه الشجرة مبعدة عن مكان رحمة الله تعالى وهو الجنة، لأنها فى قعر جهنم، وهذا الإبعاد مذكور فى القرآن بقوله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾.

٥٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴿٦٢﴾﴾ قاله هنا بتكرير الخطاب كنظيره فى ﴿أرأيتكم﴾[1] فى الأنعام، لدلالته على أن المخاطب به أمر عظيم، وهو هنا كذلك، لأنه ـ لعنه الله ـ ضمن بقوله: ﴿لاحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ إغواء أكثرهم.

٥٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾﴾.

إن قلت: لما خصهم بذلك، مع أن أصحاب الشمال كذلك؟

قلت: لأن أصحاب الشمال، إذا نظروا إلى ما فى كتابهم من الفضائح والقبائح[2] أخذهم من الحياء والخجل والخوف، ما يوجب انقباض أنفسهم عن إقامة الحروف، فتكون قراءتهم كلا قراءة، وأمر أصحاب اليمين على العكس.

وأما قوله تعالى: ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ فعائد إلى كل الناس، لا إلى أصحاب اليمين خاصة، وإنما خصهم بذلك لأنهم يعلمون أنهم لا يظلمون، ويعتقدون ذلك بخلاف أصحاب الشمال، فإنهم يعتقدون أو يظنون أنهم يظلمون.

٥٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ .. ﴿٩٤﴾﴾.

قال ذلك هنا. وقال فى الكهف«٥٥» بزيادة ﴿ويستغفروا ربهم﴾ لأن المعنى هنا: ما منعهم عن الإيمان بمحمد، إلا قولهم: ﴿أبعث الله بشرًا

---

٥٨٤ ـ انظر البرهان ٢٧٨.

«١» فى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة﴾ آية (٤٠).

«٢» فى نسخة: «الفتايح» وهو تحريف خطير من الناسخ.

٥٨٦ ـ انظر النووى ٢٤٠.

رسولا﴾؟ هلا بعث ملكا!! وجهلوا أن التجانس يورث التوانس، والتغاير يورث التنافر. والمعنى فى الكهف: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار، إلا اتيان سنة الأولين، فزاد فيها ﴿ويستغفروا ربهم﴾ لاتصاله بقوله ﴿سنة الأولين﴾ وهم قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، حيث أمروا بالاستغفار.

فنوح قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠] وهود قال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١] وشعيب قال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

٥٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ قال ذلك هنا بتقديم ﴿شهيدا﴾ على ﴿بينى وبينكم﴾ وقاله فى «العنكبوت: ٥٢» بالعكس. لأن ما هنا جاء على الأصل من تقديم المفعول، وما فى العنكبوت جاء على خلاف الأصل، ليتصل وصف الشهيد به، وهو قوله تعالى: ﴿يعلم ما فى السموات و الأرض﴾.

٥٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .. ﴿٩٩﴾﴾ قال ذلك هنا بلفظ ﴿قادر﴾ وفى «الأحقاف: ٣٣» بلفظ ﴿بقادر﴾ وفى يس ﴿أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر﴾. لأن ما هنا خبر «إن»، وما فى يس خبر «ليس» وخبرها تدخله الباء، وما فى الأحقاف خبر «إن» وكان القياس عدم دخول الباء فيه، لكنها دخلته تشبيهًا لـ «لم» بـ «ليس» فى النفى.

٥٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ .. ﴿١٠٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال موسى عليه السلام لفرعون ذلك، مع أن فرعون لم يعلم ذلك، لأنه لو علم ذلك لم يقل لموسى عليه السلام «مسحورا» بل كان يؤمن به؟!

قلت: معناه: لقد علمت لو نظرت نظرًا صحيحًا، ولكنك معاند مكابر، تخشى فوات دعوى الألوهية لو صدقتنى.

٥٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴿١٠٢﴾﴾.

أى هالكًا، أو ملعونًا، أو خاسرًا.

فإن قلت: كيف قال له ﴿لأظنك﴾ مع أنه يعلم أنه مثبور؟!

قلت: الظن هنا بمعنى العلم، كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ..﴾ [البقرة:٤٦] وإنما عبر بالظن، ليقابل قول فرعون له: ﴿لأظنك مسحورا﴾ كأنه قال: «إذا ظننتنى مسحورا فأنا أظنك مثبورا».

٥٩١ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ الآية.

كرره لأن الأول واقع فى حال السجود، والثانى فى حال البكاء، أو الأول واقع فى قراءة القرآن، أو سماعه، والثانى فى غير ذلك.

« تمت سورة الإسراء »

****